

# اللبنانيات من شعرا أبي ماضي

بقلم الدكتور عبد العزيز عيّن



الشاعر ايليا ابي ماضي

\*\*\*\*\*

وفي اشعار ابي ماضي ما يشير الى ذلك . ففي  
احدى قصائده يقول :

قد بكى التاركوك منك فنوطا فبكى الساكنوك خوف التناهي  
واذا المرء ضاق بالعيش ذرعا ركب الموت في سبيل البقاء  
ارض آبائنا عليك سلام وسقى الله انفس الآباء  
ما هجرناك اذ هجرناك طوعا لا تظني العقوق بالابناء  
يسام الخلد والحياة نعيم افترضى الخلود في البساء ؟  
وفي قصيدة اخرى يتخيل لبنان يعاتب ابنائه  
المهاجرين فيرد على عتابه بالحوافز التي دفعتهم على الهجرة ،  
والتي لا تخرج عن حوافزه هو اليها ، فيقول على لسان  
لبنان :

يا شاعري قل لالى هجروني انا ما نسينكم فلا تنسوني  
ما بالكم طولتم جبل النوي ياليت هذا الجبل غير متين  
قد طفتم الدنيا ، فهل شاهدتم جبالا عليه مهاتي وسكوني ؟  
مرت قرون وانطوت وكانني لحاسني كونت منذ سنين  
أبليتها وبقيت .. الا انني للشوق كاد غيابكم يلبيني  
فيرد الشاعر على عتابه قائلا :

لبنان : لا تمثّل بئيك اذا هم ركبوا الى العلياء كل سفين  
لم يهجروك ملالة .. لكنهم خلفوا لصيد اللؤلؤ الكنون  
ورثوا اقتحام البحر عن فينيقيا لا يقنعون من العلى بالكدون  
والارض للحشرات تزحف فوقها والجو للبازي وللشاهسين  
فاجابني والدمع ملء جفونه كم ذا تسليني ولا تسليني ؟  
انا كالعرب اليوم غاب أسوده وتفرقوا عنه .. لكل عربي  
الارمني على سفوحى والسربي يبني الحصون لنفسه بحصوني  
وبنوا يهوذا ينصبون خيامهم في ظل اوديتي وفسوق حزوني  
انتم ديون لي على أمريكا ومن المرودة ان ترد ديوني  
او ليس من سخر القضاء وهزئه ان ياخذ الثري من المسكين؟  
واستجابة لنداء المجهول ركب شاعرنا البحر من الاسكندرية ورحل مهاجرا الى اميركا الشمالية وهو في الثانية والعشرين من عمره .

أجل .. رحل هذا الشاب الطموح وكل ما يحمله  
معهُ ذكريات طفولته وصباه في لبنان ومصر ، وحب عميق  
لهذين الوطنين ، واعتزاز لا يحد بقوميته ولغته . وما أؤمن

في هذه الامسية الشعرية (✳) يطيب لي ان احدثكم  
عن رائد من رواد الشعر الحديث . عن الشاعر اللبناني  
الاصيل ايليا ابي ماضي .

ولست أحاول الليلة الحديث عن فنه الشعري  
وضروب التجديد فيه فالهذا مقام اخر . انما أحاول ان  
احدثكم عن ظاهرة من شعره جديرة بالملاحظة والتسجيل .  
هذه الظاهرة هي شعره الذي تغنى فيه بلبنان طبيعة  
وشعبا .

حقا لا تخلو الاداب العالمية قديما وحديثا من شعراء  
تمدحوا باوطانهم واشادوا بها في اشعارهم .

ومن الحق ايضا ان هناك من شعراء المهجر من شاركوا  
شاعرنا في هذه الظاهرة فنظموا شعرا في تمجيد وطنهم  
الاول وتصوير تعلقهم به واشواقهم اليه .

ولكني لا أظن ان احدا منهم قد شأى شأوه او بلغ  
مبلغه كما وكيفا .

ومن ثم فهذه الظاهرة في شعره ليست جديدة  
بالملاحظة والتسجيل فحسب ، وانما هي جدير ايضا  
بالدراسة والتنويه بها وتفهم بواعثها واستنباط الدروس  
منها .

في قرية المحيثة بلبنان ولد الشاعر ايليا ابو ماضي .  
ومن قرية المحيثة رحل الى مصر في مطلع القرن العشرين  
صبيا في الحادية عشرة من عمره .

رحل وفي يده شهادة الابتدائية ، وفي ذاكرته وخياله  
رصيد من صور طفولته وملعب حدائقه ، وفي قلبه حب  
خالص بريء لكل ما خلف وراءه .

وكان عليه في مصر او الاسكندرية التي ارتضاها  
مقاما ان يعمل ليكسب قوته ، وان يعلم نفسه . ولهذا  
نراه في الاسكندرية يشتغل ببيع الدخان والسجاير ،  
ويستغل وقت فراغه في القراءة والاطلاع على اشعار  
كبار الشعراء القدامى والمعاصرين .

وقد دفعه حبه للشعر وكثرة مطالعته فيه الى  
معالجته ثم نشر بعضه في الصحف والمجلات الادبية ، حتى  
عرف بالادب والشعر .

ثم نراه بعد احدى عشرة سنة قضاها في مصر ،  
تماما كالفترة التي قضاها في لبنان ، يصدر ديوانه الاول  
« تذكارات الماضي » ويهديه الى الامة المصرية تعبيراً عن  
عواطفه نحوها .

ولم يكد يصدر هذا الديوان حتى نزعته نفسه القاقة  
الطموح الى الهجرة للعالم الجديد . والهجرة من الشام التي  
بدأت في اواخر القرن التاسع عشر واول القرن العشرين  
كان لها دوافعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية  
والنفسية .

(✳) دراسة القيت في جامعة بيروت العربية .

بناء مصر الناهضين تحية كودادكم .. ان لم اقل كودادي من شاعر كلف بكم وبارضكم ابدا يوالي فيكم .. ويمادي لم يكن بيعيا لشاعر طموح مثله ان يعيش حياته مغمورا في مدينة صغيرة ، بعيدا عن صحبة الفكر والروح والقلم . ولهذا نراه يرحل صيف عام ١٩١٦ الى مدينة نيويورك . ولم يكد يحط رحاله فيها حتى اخذ يتصل باخوانه من ادباء المهجر هناك ، ويواصل نظم الشعر ويشغل بالتهجير في الصحف كصحيفة « زحلة الفتاة » و « مرآة الغرب » .

وسرعان ما لمع اسمه بين الكتاب والشعراء العرب في تلك المدينة وعرفه المهجريون شاعرا وأديبا . وقد شجعه ذلك فاصدر ديوانه الثاني « ديوان ايليا أبو ماضي » عام ١٩١٩ .

وفي نيويورك توثقت الصلات بينه وبين أدباء الرابطة القلمية من أمثال جبران ونعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب وندرة حداد ، واشترك معهم في تدعيم هذه الرابطة التي اتخذ أعضاؤها من جريدة « السائح » وقتئذ أداة للتعريف بدعوتهم التجديدية في الادب واللغة .

ودعوتهم هذه كانت تهدف الى بعث الادب العربي ، وبت روح جديدة نشيطة فيه والخروج به من دائرة التقليد والحكاية الى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الامة .

فالادب في مفهومهم هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها . هو رسالة لا معرض للزخارف اللغوية والعروضية . هو انعكاس لموقف الانسان من الحياة التي يعيشها مؤثرا فيها ومتأثرا بها . والانسان عندهم .. الإنسان الذي هو لغز الالغاز ، وسر الاسرار ، والذي يعيش في صراع دائم مع الطبيعة ، هو موضوع الادب . والاديب في نظرهم هو من أوتي رهافة الحس ودقة الفكر ونفوذ البصيرة في تموجات الحياة وتقلباتها ، مع قدرة فائقة في الابانة والتعبير عما تحدثه الحياة في نفسه من انفعال وتأثير .

وهكذا نرى رواد هذه المدرسة الادبية الجديدة في كل ما يصدرون يفتشون عن أنفسهم ، ويستلهمون عوالمها ، ويخلقون في أجوائها بأرواح مجنحة .. على ان هذه النزعة الجديدة كما يقول الاستاذ جورج صيدح ، لم تسلم من نقد مفكر كبير كالريحاني الذي استولت عليه فكرة وحدة الامة العربية .

فقد كان يأخذ على جبران ونعيمة وامثالهما استفاد طاقتهم الادبية الكبيرة في فلسفات روحية ، وفي تخدير النفوس بالاحلام والاهوام ، بينما الاوضاع العربية في حاجة ملحة الى الاصلاح العملي الناجز .

وما من شك في أن نقد الريحاني له قيمته واعتباره . فمن أقدر من قادة الفكر في اي امة على الاضطلاع بتصحيح اوضاعها الخاطئة والقيام بدور ايجابي في بعثها ونهضتها؟ ولكن اذا كانت اللغة أهم مقوم من مقومات القومية ، فمما لا شك فيه ان مدرسة المهجر الادبية قد أسدت الى القومية العربية اجل الخدمات بما ادخلته على اللغة العربية والادب العربي من روح التجديد شكلا وموضوعا ، هذه الروح التجديدية التي تأثر بها أدبنا الحديث في جميع اجزاء الوطن العربي .

ومع ان ابا ماضي قد تأثر بهذا الاتجاه الجديد وشارك فيه بأدبه وفنه ، فانه في الواقع لم يفقد صلته الوجدانية بوطنه وأحداؤه . وليس موضوع محاضرة الليلة الا مظهرا من مظاهر هذه الصلة .

كل ذلك من زاد يتبلغ به الغريب في مطارح الغربة! وما احبه من رفيق يأنس به في وحدته ، ثم ما أمتنه من سبب يربط حاضره بماضيه !

وفي اميركا الشمالية نزل شاعرنا اول ما نزل في مدينة « سنسناتي » حيث كان قد سبقه اليها اخوه الاديب مراد أبو ماضي . وراح شاعرنا في المرحلة الاولى من هجرته يسعى الى المجد عن طريق التجارة فيحالفه النجاح حيناً ويتخلى عنه احيانا .. ولعل المرحلة الاولى من حياة كل مهاجر كانت اشقها عليه ، ففيها كان يكافح كفاح الجبارة ، ويشغل بأي شيء ويتعرض لكل شيء كسبا للضروري من القوت .

وما أجمل تصوير الشاعر مسعود سماحة لمغامرات هذه المرحلة من حياة المهاجرين اذ يقول :

كم طويت الغفار مشيا وحملتي فوق ظهري .. يكاد يقصم ظهري  
كم طرقت الابواب غير مبال بكلال .. وقر فصل وحسر  
كم ولجت الابواب .. والليل داج ووميض البروق شمسي وبدري  
كم توسدت صخرة .. وذراعي تحت رأسي .. وخنجري فوق صدري  
وكان كفاح شاعرنا الشاق المرير كافيا ان ينسيه وطنه ، وكان المجتمع الجديد كفيلا ان يذيه كما اذاب غيره من مهاجري الاجناس الاخرى التي نزلت الى اميركا .. ولكن هيهات ان يذيه فيه العالم الجديد او ينسيه وطنه العربي ولغته ..

بل على العكس نرى الهجرة تستحيل في قلبه وعقله ووجدانه الى قوة جديدة ، تزيده تعلقا بوطنه وتمجيذا له وغيره عليه ، ودفاعا عن حقوقه بقلمه ، ومشاركة في افراحه واحزانه ، وايمانا بمستقبله ، واستنهاضا لقومه نحو الحرية والاستقلال والعمل لخير الوطن ..

قضى في المرحلة الاولى من هجرته خمس سنوات غير سعيدة في مدينة « سنسناتي » يكد نهارا من اجل العيش ، ويخاو ليلا الى كتبه وقلمه وأوراقه ويتابع نظم الشعر .

ويتلفت حوله في هذه المدينة فلا يرى اديبا عربيا واحدا يتجاوب معه ويتعاطف وانما يرى عالما ماديا لا مكان للروح فيه ، وخاصة روح الشاعر الملهم مثله . وهنا يذكر مصر وأدباءها وشعراءها وصحافتها ، ويحن لعهدده فيها فينظم قصيدة طويلة ملؤها الوفاء والحنين لوطنه الثاني ، منها :

جاد الكنانة عني وابل غدق وان يك النيل يغنيها عن الديم  
صرفت شطر الصبا فيها فما خيبت رجلي العثار ولا نفسي من الوصم  
في ذمة الغرب مشتاق ينازعه شوق الى مهبط الايات والحكم  
وما سرت نسيمات نحوها سحرا الا وددت لو اني كنت في النسم  
الشرق تاج ، ومصر منه درتسه والشرق جيش ومصر حامل العلم  
أحنى على الحر من ام على ولد فالحر في مصر .. كالورقاء في الحرم  
وتشيق عليه غربته الروحية ووحدته الفكرية في هذه  
المدينة ، فيقارن بين حاله في يومه وأمسه . واذا هو يدمدم بالشعر حيناً الى وطنيه : لبنان ومصر ، وأعلاء لهما على كل وطن آخر :

وطنان اشوق ما اكون اليهما مصر التي احببتها وبلادي  
ومواطن الارواح يعظم شأنها في النفس فوق مواطن الاجساد  
حرصى على حب الكنانة دونه حرص السجين على بقايا الزاد  
بلد الجمال خفيه وجليه والفن من مستطرف وتلاد  
عرضت مواكبها الشعوب فلم اجد الا بمصر نصارة الابداد  
عاش الجدود وانكوا ما اكلوا واليسوم ينمشون في الاحفاد  
السبغين على النواغ فضلهم كالفجر منبسطا على الاطواد

لقد راح منذ استقر به المقام في نيويورك يخدم قومه وبلاده ولغته بالقلم ، فأصدر ديوانيه : « الجدال والخمائل » وأسس مجلة « السيمير » التي جعلها طموح حياته منبرا للتجديد والإصالة في اللغة والأدب ، وصوتا ينبعث من المهجر للدفاع عن قضايا الوطن العربي ، ودعوة أبنائه للتآخي ووحدة الصفوف ، ونبذ التعصب بجميع صوره وأشكاله .

فعلام يدل كل ذلك ان لم يدل على مدى اعتزاز به بقوميته ، وتمكن روح العروبة الاصيلة من قلبه ، ونهوضه لخدمة بلاده في الميدان الذي يجيده وهيأته العناية له؟ . . وعلام تدل اللبانيات من شعره ان لم تدل على ما فطر عليه من صفات الوفاء والولاء ، والحب والحنين للبنان . . ؟ ولبنان المنسب في أطواء نفسه هو لبنان الطفولة بمرحها ولهوها ، بعدويتها وبراءتها ، ونعومتها وسماحتها . لبنان العواطف المتفتحة كبراعم الورد . لبنان السروح الألوفا الذي يؤاخي الانسان والحيوان والجماد ويجد في صحبتها ومخاطبتها انسا ومنتعة . ثم لبنان الطبيعة بكل مشاهدتها ومباهجها ، وكل ما ينبض بالحياة على أرضها ، ويرفرق بالبشر في جوها ، وبطل بالضياء على الدنيا من سمائها .

ذلك . هو لبنان الذي ارتحل مع الشاعر ، ورافقه في غربته يقظان نائما . لبنان الذي يهيجه الحنين اليه فاذا هو يغنيه في ابتهاج قائلا :

ومليحة في وجهها ألق الضحى والسحر والعصياء في أقوالها قالت : أينسى الناخون بلادهم؟ ما هاج حزن القلب غير سؤالها الأرض . . سوريا أحب ربوعها . . عندي ، ولبنان أعز جبالها والناس أكرمهم عليّ عشيرها روحى الفداء لرهطها ولآلهها

والشهب أسطفا التي في أفقها وأحبة غيث ما همى في أرضها مرح الصبا الجدلان في أسحارها اني لاعرف ريحها من غيره تلك المنازل . . كم خطرت بساحها وشدوت مع اطيائها وسهرت مع وسجدت للالهام مع صفصافها وملات عقلي من حديث شيوخها تشتاق عيني قبل يفضها الكرى ويرى في مغتربه منظرا يذكره بالربيع في ربي لبنان فيهتف من أعماق قلبه معبرا عن هذا الربيع بصورة شعرية تمتع العين والاذن :

ولقد نظرت اليكم فكانني أصفي الى السمات تروي للربى والى السواقي وهي تنشد للصبأ والى الازاهر . . كلما مرت بها متهمسات : ما نظن « فلانة » ولئن غاب في نيويورك لا بشكو كغيره الفراق وغربة الاجسام :

لست أشكو ان شكا غيري النوى أنا كالسوسن ان لم ينتقل أنا في نيويورك بالجسم وبالر في ابتسام الفجر، في صمت الدجى أنا في الفوطه زهر وندى ربّ هبني لسلاذي عودة وتمر الأيام والسنون فلا تزيده الا شوقا وحنينا الى بلاد . . واذا أجمل الجمال واحسن الحسن ما كان فيها :

أنا في الربيع وفي ربي لبنان ما قالت الاشجار للفردان والحب في الفتيات والفتيان عذراء ذات ملاحه وبيان أحد بها أولى من « ابن فلان » لهو مقيم في وطنه بروحه الاجسام :

غربة الاجسام ليست بافتراب لم يتوج زهره رأس كصاب وح في الشرق على تلك الهضاب في اسي تشرين في لوعة آب أنا في لبنان نجوى وتصابي ولكن للغير في الاخرى ثوابي وتمر الأيام والسنون فلا تزيده الا شوقا وحنينا الى بلاد . . واذا أجمل الجمال واحسن الحسن ما كان فيها :

## دار النشر للجامعيين

مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع - يرف بمبصا لجنة من الجامعيين  
الذرائع: محمد النور - محماديسر الطباعة  
بيروت - شارع سوريا - بشاية درويش - هاتف ٢٠٧٧٧ - من ب ٣٨٧٤



تفخر بأن تقدم  
للقارئ العربي  
الروائع التالية :

السعر ق . ل

٥٠٠

تأليف ليو تولستوي

أنا كرنينا

٦٠٠

تأليف البرتو مورافيا

امراة من روما

٥٠٠

تأليف تشارلز ديكنز

الامال الكبيرة

٤٠٠

تأليف بيار روفائيل

الارض العنراء

٤٠٠

تأليف سيمون حايك

الناصر لدين الله

٥٠٠

تأليف حسي ناتان

جندي مع العرب (طبعة ثانية) مذكرات كلوب باشا

٦٠٠

تأليف حسي ناتان

الماركسية في الفلسفة

٦٠٠

تأليف هاشم معروف الحسيني

السادى العامة للفقہ الجعفري

٤٥٠

ترجمة غياث حجار

هكذا تكلم زرادشت

٥٠٠

تأليف الدكتور منير ناجي

ابن هانيء الاندلسي

٣٠٠

تأليف الدكتور ممدوح حقي

ليبيا العربية

٤٠٠

تأليف هاشم معروف الحسيني

تاريخ الفقه الجعفري

٥٠٠

تأليف محمد جميل بيهم

المرأة في حضارة العرب

٥٠٠

تأليف الشيخ معوض عوض ابراهيم

قبس من الاسلام

١٥٠٠

تحقيق الدكتور عبدالله الطباع

الحلة السيرة

١٥٠٠

تأليف البلاذري

فتوح البلدان

٣٠٠

تأليف الدكتور ممدوح حقي

الصيد والطرء عند العرب

لبنان ، ولكنه لا ينسى ان يمس ما ينكره فيه من حزيمة وطائفية :

اثنان اعيان الدهر ان يلبهما  
ننتاقه .. والصيف فوق هضابه  
واذا تمد له ذكاء جبالها  
واذا تنطقه السماء عشية  
واذا الصبايا في الحقول كزهره  
هن اللواتي قد خلقن لي الهوى

وطني ستبقى الارض عندي كلها  
سألوا الجمال ، فقال : هذا هيكلي

غيري يراه سياسة وطوائفا  
ويروح من اشفاقه بيكي له  
لا يسفر الحسن الزينه لناظر

قل للالي رفعوا التخوم لارضه  
ولن يقولون : الفرنج حماته ؟

يا صاحبي : يهنيك أنك في غد  
ان حدثوك عن النعيم فاطنبوا

ويدعى للقول في حفل تكريم الاستاذ كمال جنبلاط  
فيتخذ من هذه المناسبة فرصة لسؤال المحتفل به عن الوطن  
في شعر يلمس شغاف القلوب بما يوج فيه من الحنين  
المصفي والوصف الرائع لجمال لبنان :

تلك المنازل .. كيف حال مقيمها  
تمشي على صور الطيور لحاظنا  
ونكاد نعشق في الازاهير الدمى  
نشواقها في بؤسنا ونعيمنا  
لولا الخيال بعين انفسنا .. لما  
ولكان شهد الارض في افواهنا

يا حاملا في نفسه وحديثه  
حدث بنينا : شيخهم وقتاهم  
خبرهم ان الكواكب لم تنزل  
ما زال بلبلها يفنسى للربى  
والريح تلتقط الشذى وتذيعه  
وهضابها يلبس عسجد شمسها  
والفجر يرقص في السهول وفي الربى  
حدثهم عن ليلها ونجومها  
وعن الشطوط الحالمات بعودة

وقصيدة « الشاعر في السماء » تريسنا في تأثر  
واشفاق كيف ان قضاء فصل صيف أو شتاء في لبنان قد  
صار أكبر أمنياته . في هذه القصيدة القصصية التي صاغها  
من الحنين اللاذع ، وأترعها بالحب والشجن ، ووشاها  
بلطف الخيال وعدوية الموسيقى يقول :

رانسي الله ذات يوم في الارض ابكي من الشقاء  
فرق .. والله ذو حنان على ذوي الضر والعناء  
وقال : ليس التراب دارا للشعر ، فارجع الى السماء  
وشاد فوق السماك بيتي ومسد ملكي على الفضاء  
فالتفتت الشهب حول عرشي وسار في طاعتي الضياء

\*\*\*\*\*

اني مرت على الرياض العاليه  
وسمعت انغام الطيور الشاديه  
فطربت .. لكن لم يحب فؤاديه  
كطيور ارضي ، او زهور بلادي  
وشربت ماء النيل .. شيخ الأنهر  
فكأنني قد ذقت ماء الكونصر  
نهر " تبارك من قديم الاعصر  
عذب ... ولكن لا كماء بلادي  
ورسمت يوما صورة في خاطري  
للحسن .. ان الحسن رب الشاعر  
وذهبت أنشدها فاعيا خاطري  
حتى نظرت .. الى بنات بلادي  
قالوا : رأيناها .. فلم نر طيبا  
ولتى صباها والجمال مع الصبا  
فاجبتهم : لتكن بلادي سببا  
قفر .. فلست أحب غير بلادي  
قالوا : تأمل أي حال حالها ؟  
صدح القضاء صروحها فامالها  
ستموت .. ان الدهر شاء زوالها  
انموت ؟ كلا لن تموت بلادي

ويلح الحنين عليه في ليل وحدته فيسافر بخياله الى  
لبنان ويروح يتنقل بخاطره بين ربوعه ودينا حدائته.  
وهناك يرى اطياف ماضيه مختاطة بواقع بلاده التي تئن  
تحت وطأة الظلم ، فيستجيشه كل ذلك . واذا هو يحيى  
بلاده في حب ، ويصور منازل طفولته ومعاهدها ،  
ويستنهض قومه غضبا لكرامة الوطن ومصيره ، مذكرا  
اياهم بالنخوة العربية :

مثلما يكن اللظى في الرماد هكذا الحب كامنا في فؤادي  
لست مغرئ بشادن او بشاد انا صب متيم ... ببلادي  
يا بلادي .. عليك الف تحية

انت ما دمت في الحياة حياتي فاذا ما رجعت للظلمات  
واستحالت جوارحي ذرات فلتقل كل ذرة في رفاي :  
عاش لبنان .. ولتتش سورية

ذلك ليل قطعته انا أمل رسما الصامت الذي ليس يعقل  
وبناني مع خاطري تنتقل بين هذا الحمى وذاك المنزل  
والربى .. والخمائل السندسية

ههنا رسم منزل أشتيه ههنا مربع أحب ذويه  
ههنا رسم معهد كنت فيه مع رفاي أجر ذيل النيه  
في الفحى .. في الاصل .. بعد العثية

ما لقومي ، وقد دهمتها الدواهي بالذي يطفئ النجوم الزواهي  
ويثير الحماس في الامواه قعدوا بين ذاهل أو لاه  
أين أين الحفيظة العربية ؟

هي أم لكم ، وانتم بنوها حفظت عهدكم فلا تنكروها  
انتم أهلها ، وانتم ذورها لا تعينوا بالصمت من ظلموها  
ذاك عار على النفوس الابية

ويستحيل لبنان في عقله الباطن الى صورة للنعيم  
والخلد فاذا الدهر يقف حiale عاجزا لا يستطيع ان ينال  
منه أو من أمل أبنائه . ثم يروح يصور لنا ما يشواقه في

للعشب أثقله الندى للفضن أثقله الجنى  
عاش الجمال مشردا في الارض ينشد مسكنا  
حتى انكشفت له فاله في رحله ... وتوطننا  
واستعرض الفن الجمال ، فكننت أنت الاحسا  
لله سرر فيك . يا لبنان لم يكشف ... لنا  
زعموا : سلونك .. ليتهم نسبوا الي .. الممكنا

\*\*\*

هذه ، أيها السادة ، نماذج من اللبنايات في شعر  
إيليا أبي ماضي . نماذج من الشعر الرفيع الخالد الذي  
تغنى فيه بلبنان الجميل .

لبنان الذي يعيش في عقله الباطن طفولة ، ويعيش  
فيه عواطف متفتحة كبراعم الورود ، وطبيعة تنبض أرضها  
ويفيض جوها وسماؤها بالحياة والبشر والحسن .  
هذه الاغاني التي ترفع الي درجة الابتهالات قد  
صاغها خيال الشاعر المبدع من رواء الفن ، وعذوبة الموسيقى ،  
وسحر الكلمة .

وفيها أذاب قلبه وروحه وعواطفه وبث شعلة من  
حبه وحنينه وأساه ، ثم أطلقها رمزا للوفاء والولاء .  
على أن ارتباطه الوجداني بلبنان لم يقتصر على جانب  
اللبنايات فحسب ، وإنما تعداه الى جانب آخر هام هو  
الجانب القومي .

فقد خلف لنا فيما خلف ذخيرة ثمينة من الشعر  
الوطني ، تتجلى لنا فيها وطنيته الحقة ، وعروبته الاصلية ،  
ومشاركته الايجابية بالقلم دفاعا عن قضايا وطنه .

ولا أظن احدا من الشعراء المهجريين يجاريه في ذلك  
او يفوقه فيه غير الشاعر القروي رشيد سليم الخوري ،  
أو فديس الوطنية العربية ، كما سماه الاستاذ أكرم زعيتر .  
في هذا الشعر الوطني الذي يكمل اللبنايات يتسع  
مفهوم الوطن لدى أبي ماضي حتى يشمل الوطن العربي  
كمله .

في هذا الشعر نرى الشاعر في عنف وايمان وشجاعة  
يحارب الظلم ، ويعادي الاستعمار ، وينعي على دعاة الفرقة  
والطائفية ، ويثور على محترفي السياسة والمتاجرين  
بمقدسات الوطن .

وفيه يحذر قومه من المقايضة على حريتهم واستقلالهم  
بأي ثمن . ثم فيه اخيرا دعوة الاخوة الى الوحدة ، فبها  
وحتها يستطيعون ان يستعيدوا سابق مجدهم وقوتهم ،  
وان يستأنفوا دورهم الحضاري .

## فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز وأسعار معتدلة

بإدارة : حلمي المباشر

لكنني لم أزل حزينا فاستغرب الله كيف أشقى وقال ما زال آدميا ومس روحي واستسل منها فاستمد نوحى وصار جهرا يأبها الشاعر ... المعنى هل تشتهي أن تكون طيرا ؟ هل تشتهي أن تكون نجما ؟ هل تبغى المال ؟ قلت : كلا ولا أريد الذي لفيري لكن امنية .. بنفسى ..

\*\*\*

فقال : يا شاعر .. عجبا قلت : يا رب فصل صيف فأنني ههنا غريب

\*\*\*

فاستضحك الله من كلامي لبنان أرض ككل أرض وفيه بؤسى وفيه نمى فأي شيء تشتهى فيه ؟ تحسن نفسى الى السواقي الى الروابي .. تصري وتكسى الى العنايد .. والسدوالي

\*\*\*

فأشرف الله من علاه فقال : ما أنت ذو جنون فسان لبنان ليس أرضا

واخيرا تتحقق أميته التي يسترها الخوف والحياء فيعود مرة الى لبنان . وكما يطرق الفرييب باب الدار ويصيح بأمه فرحا ينبها بعودته ، نرى الشاعر في نشوة السرور والغبطة يطرق باب الوطن ويقبل عليه هاتفا مترنما :

وطن النجوم .. أنا هنا ألحيت في الماضي البعيد جلدان يصرح في حقولك يتسلق الأشجار لا ويمسود بالأغصان يب ويغوض في وحل الشتا لا يتسقى شر العيون ولكم تشيطن كي يقو

\*\*\*

أنا ذلك الولد الذي أنا من مياهاك قطرة أنا من ترابك ذرة أنا من طيورك بلبل حمل الطلاقة والبشا كم عانقت روحي ربا لارز يهزأ بالريا للبحر ينشره بنسو لليل فيك مصليا للشمس تبطىء في ودا للبيدر في نيسان يك للحقل يرتجل السروا

# لبنة الظلمات

من مقامرات برجوازي

\*\*\*

شفتك كاذبتان لا تهربي  
اني انتظرتك في ضفاف المغرب  
المحت غيري ..؟ لست اول طفلة  
باعت بقاياها لغير مجرب  
القتك قماشي .. فانت طريحة  
تتلفتين لكل طيف معجب  
عينك والاشباح سافرتا الي  
حجر الظلام .. على شرع متعب  
ياذبة الظلمات لا تتشاءبي  
لا تسكي الغفران .. لا تتمذيبي  
وتغربي عبر « المشاوير » التي  
لا تنتهي ... لا بأس ان تغربي  
لا تبعيني .. لست اول قطعة  
لوثتها .. ورميتها .. كالطحلب  
قد قلبتك عيونهم .. لانطريقي  
بابي ... فعندي كرمة لم تنضب  
قلبتنا وحدي .. عصرت كرومها  
ملأى قواريري فلا تتقربي  
في كل عام ينضج العنب الذي  
يسقى العروق من الرحيق الطيب  
دوري بأعواد الثقاب وبعثري  
تيجانها .. كهشيم ذلك السبب  
اخطرت في ردهات قلبي مرة ؟  
وعبرت في ركب الزمان القلب ؟  
اني نسيتك مثل حلقات الدخان  
نفثتها .. اني نسيتك فاذهبي !  
قلبي تمر به العواير .. تنتهي  
عند الهزيع .. على دروب الغيب  
يا طفلة الظلمات دوري في الدجى  
فالليل ميناء السفين المتعب  
أغلقت نافذتي .. فبين سواعدي  
أخرى .. فعودي للظلام وتقبني  
ابريل يعرض لي معارضه فسي  
ابريل .. ميعاد الربيع المخب

محيي الدين فارس

ام درمان

والمجال هنا لا يتسع لعرض نماذج من شعر ابي ماضي الوطني ، فهذا مناسبة أخرى . ولكننا نكتفي منه بنموذجين للدلالة على اتجاه وطنياته ومعانيها .

يرى الشاعر قلة طموح قومه في وقت ما ويرى فنوعهم من الحياة بالدون وفتور روح الغيرة على الوطن فيهم ، فيستحثهم ، ضاربا الامثال لهم بدفاع الحيوانات والطيور .. حتى الحشرات عن مواطنها قائلاً :

ارى الليث يدفع عن غيخته بانيسابه ... وبالفارح  
ويجمع النمل في .. قريته اذا خشى القدر من جاره  
ويخشى الهزار على وكنته فيدفع عنها ... بمقارحه  
فلا الكاسرات .. ولا الفيغم ولا الشاة تمدح .. جزاها  
مى يذكر الوطن النوم كما تذكر الطير اوكارها؟

ثم يرى غدر الاستعمار بالعرب في فلسطين خدمة للصهيونية فينطلق هادرا يدافع بقلمه عن فلسطين العربية دفاع العرب الاحرار مؤكدا عروبتها واستعادة العرب لها شاء الاستعمار ام ابى :

فليست فلسطين أرضا مشاعا فتعطي لمن يشاء ان يسكنها  
فان تطلبوها .. بسمر القنا نردكم بطوال ... القنا  
ففي المرابي صفات الانعام سوى ان يخاف .. وان يجنا  
وان تجلوا بيننا بالخداع فلن تخذعوا رجلا مؤمنا  
وان تهجروها .. فذلك اولي فان فلسطين ملك لنا  
وكانت لاجداننا ... قبلنا وتبقى لاجداننا .. بعدنا  
فلا تحسبوا لكم موطننا فلم تك يوما لكم موطننا  
وليس الذي نبتفه محالا وليس الذي رمتهم .. ممكنا  
واما ابيتم .. فأوصيكم بان تحملوا معكم الاكفنا  
فانا سنجعل من أرضها لنا وطنا .. ولكم مدفنا

\*\*\*

ما أجمل هذا الشعر ان يلقيه الشباب العربي ليعلموا الى اي مدى من السمو والعمق يبلغ العربي الاصيل في حبه لوطنه ! وما احق ان ينشأوا عليه ليتشربوا روحه فيشربوا مفاطرين على حب وطنهم والاعتزاز به والعمل لخيرته . لقد ركب شاعرنا البحر من أجل المجد فعلمته الغربية ان مجده الخالد هو في الاحتفاظ بقوميته ولغته ، وفي التضحية والكفاح في ميدان القلم من أجل امته . ولهذا خلف لنا تراثا ادبيا خالدا تفخر به العربية والعروبة . ولعل خير ما يلخص موقفه من قومه هذه الكلمة التي وردت في مقال له بالعدد الاول من مجلة « السمير » التي اصدرها عام ١٩١٩ :

في هذه الكلمة يقول :

« ... اجل قد رجعت الى الصحافة لاني احسب كل يوم انفقته في غير خدمة بلادي ولغتها ليس من عمري . بل انا اعتبر الفناء في امتي وجودا ، والوجود في غير امتي فناء . ولان تدميني أشواكها أحب الي من ان ينشر علي سواها الورود والرياحين . انا لامتي .. ضاحكا وباكيا ، بل انا لها .. ضاحكة وباكية .. »

هذه كلمة عربي مفكر غدته العروبة بلبانها فظل حياته وفيها لها بارا بها ، مغنيا لها في أفراحها وأحزانها .. فما أحرانا ان نتخذ من كلمته هذه شعارا يوحى لنا دائما بأنبل العواطف ، وأسمى المشاعر القومية والانسانية !

عبد العزيز عتيق